الجزء الثاني المجلد الرابع والثلاثون

مجلة المجمع العلمي العراقي

جمادى الآخرة ١٤٠٣ هـ
نيسان ١٩٨٣ م

شعر البَبَغاء

تحقيق

هِلال ناجي

الببغاء من المهد الى اللحد :

نصيبين تضطجع على اعالي نهر الهرماس وبين يديها يمتد سهل رائع الخضرة، تنسرب اليها المياه من جبل بالوسا فتزدهر بساتينها وتتألق حقولها ، ثم تفضي مياهها الفضية الى آلاف البرك والنافورات التي تحلي دورها وقصورها .

كانت تلك المياه وهي تبعث الحياة في السهل والصحراء، تحمل شوق الجبل المتدفقة منه الى نصيبين الغانية المضطجعة على اعالي نهر الهرماس بقلب ديار ربيعة.

وكانت البساتين الكثيفة تحيط بنصيبين احاطة السوار بالمعصم والزنار بالخصر والمهد بالمولود (١) .

وعلى رأس جبل مطلّ على نصيبين وديار ربيعة ، كان يشمخ دير عُرف « بعُمر الزعفران » لكثرة زعفرانه الفائق ،تتصل به جنان نَضرة تزدان باشجار البندق والفستق واللوز والزيتون. وقد انماز هذا الدير ببنائه العجيب ورهبانه الكثار (٢)

في احضان تلك الطبيعة الفاتنة الساجية ، وفي العقد الثاني من القرن الرابع الهجري ولد شاعرنا الببغاء .

واذا كانت المصادر لم تحفظ لنا تاريخ مولده ، فبين ايدينا نص يساعد على ان نفترض لها تاريخا تقريبياً .

---

(١) انظر صورة الارض لابن حوقل ص ١٩١ – ١٩٤ ومسالك الممالك للاصطخري ص٧٣ واحسن التقاسيم للمقدسي ص ١٤٠ .

(٢) مسالك الابصار ٣٠٥/١ .

ففي القصة التي اوردها الثعالبي عن أبي الفرج الببغاء حين تأخر بدمشـق عن سيف الدولة مكرها ، وقد سار عنها في بعض وقائعه ، ثم ما كان من أمر شاعرنا في دير مرّان اشارة الى أن سنّه آنذاك عشرون سنة (٣) . فاذا افترضنا ان ذلك كان في السنوات الاولى من حكم سيف الدولة ٣٣٣ ــ ٣٣٥هـ ، فيكون مولد شاعرنا عام ٣١٣ ــ ٣١٥ هـ .

غير ان هذا الافتراض يظل قلقاً ، فنحن لا نعرف التاريخ الذي جرت فيه هذه القصة على وجه الدقة .

والببغاء هو أبو الفرج عبدالواحد بن نصر بن محمدبن عبدالله بن عمر بن الحارث بن المطلب بن عبدالله بن عبدالعزيز بن المطلب بن عبدالله بن المطلب بن حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم الحُنْطبي المخزومي النصيبي(٤) فهو عربي صليبة . واختلفوا في سبب تلقيبه بالببغاء .

قيل انما لقّب بالببغاء لِلَثْغةٍ فيه (٥) وقيل بل لفصاحته (٦). وقيل لفصاحته أو للثغة في لسانه (٧) .

واختلفوا في ضبط اللقب ، قيل البَبّغاء بباءين موحدتين الاولى مفتوحة والثانية مشددة وبعدها غين منقوطة . ووجد بخط ابن جني بفاءين. ويقال فيه البَبْغاء بموحدتين الثانية ساكنة والمشهور فيه الاول (٨) .

والنصيبي والنصيبيني نسبة الى نصيبين فمن قال: نصيبيٌّ جعله بمنزلة الجمع

---

(٣) يتيمة الدهر ٢٥٣/١ .

(٤) الانساب للسمعاني ٦٥ و١٧٩ وتاريخ بغداد ١١/١١ ووفيات الاعيان ٢٠٢/٣ واللباب في تهذيب الانساب ١١٧/١ .

(٥) يتيمة الدهر ٢٥٢/١ .

(٦) اللباب في تهذيب الانساب ١١٧/١ .

(٧) مخطوطة سير اعلام النبلاء ١٩/١١ ومخطوطة الوافي بالوفيات ٢٨٦/١٥ والعبر ٦٩/٣ ووفيات الاعيا ن ٢٠٢/٣ .

(٨) الوافي بالوفيات ٢٨٦/١٥ . ووفيات الاعيان ٢٠٢/٣ واللباب ١١٧/١ .

ثم ردّه الى واحده ونسب اليه . ومن قال : نصيبينيٌّ اجراه مجرى ما لا ينصرف والزمه الطريقة الواحدة (٩) .

ولسنا نعرف شيئاً ذا بال عن نشأته الاولى ، ولكن المصادر حفظت لنا ان النامي احمد بن محمد المصيصي الدارني وهو من اصحاب الامالي ، كان من شيوخه وانه روى عنه (١٠) . كما انه روى عن كثيرين منهم : ابو امية الهشامي وابو طالب الجعفري (١١) .

وقد روى عن شاعرنا كثيرون منهم : ابو غالب محمد بن احمد بن بشران وابو نصر احمد بن عبدالله(١٢) والمحسن بن علي التنوخي صاحب النشوار في مواضع كثيرة منه وابو نصر احمد بن علي الثابتي(١٣) والقاضي ابو القاسم علي بن المحسن التنوخي (١٤) . وسواهم .

كان شاعرنا في شبابه يهوى التطرح في الديارات ، فهو في سعيه للبقاع الجميلة الموحية والمتنزهات الخلابة ، يقصد بعض الاديرة في صحبة من يأنس به ، حاملاً نُقله وزوادته مختاراً من رهبانه من يتوسم فيه رقة الطبع وسجاحة الخلق ، على ما جرت به العادة في غشيان الاديرة ، والتطرف بمعاشرة أهلها بين اقداح تدور وغناء يبعث الانس والسرور ، وأحاديث هي أشهى من النقل. ولقد كانت أيام لهوه في تلك الديارات مبعث وحي ومصدر الهام شاعري. وقد خلفت لنا الايام قصيدتين من وحي ايامه في الاديرة . احداهما كتبها وهو في العشرين من عمره جرت له في دير مرّان قرب دمشق (١٥) .

والاخرى من وحي ايام له في « عمر الزعفران » المطل على نصيبين (١٦) . التحق الببغاء بخدمة سيف الدولة وهو دون العشرين . وكان يرافقه في بعض

(٩) معجم البلدان ٤/٧٨٧ .
(١٠) وفيات الاعيان ١/١٢٥ .
(١١) الفرج بعد الشدة ١/٩٥ و ٩٨ .
(١٢) المنتظم ٧/٢٤١ – ٢٤٢ .
(١٣) الانساب الورقة ٦٥
(١٤) الانساب ٦٥ وتاريخ بغداد ١١/١١ .
(١٥) يتيمة الدهر ١/٢٥٨ – ٢٥٩ .
(١٦) الوافي ١٥/٢٨٦ (المخطوط) .

وقائعه . وكان سيف الدولة على ما هو معروف فارساً أديباً ذواقة مُمَدَّحا جواداً . وفي ظل التمزق السياسي الذي عاشته الدولة العباسية في القرن الرابع الهجري حتى استحال الخليفة رمزاً دينيـاً فحسب . كان ظهور مثل هذا الامير الفارس على الثغور الشمالية للوطن العربي الإسلامي ، واندفاعه الى مصاولة الروم والاغارة عليهم وغزوهم نحواً من اربعين غزوة ، اقول : كان ذلك مدعاة لانضمام عدد من شعراء الامة العربية البارزين الى بلاطه في حلب اعجاباً بفروسيته وطلباً لجدواه وفي مقدمتهم المتنبي شاعر العربية الاكبر والنامي والسري الرفاء والخالديان والببغاء والزاهي والناشئ الاصغر وسـواهم . فمدحوه بقصائد كثيرة بلغ المنتقى منها مما اختاره ابو محمد عبدالله بن محمد الفياض الكاتب وابو الحسن علي بن محمد الشمشاطي عشرة آلاف بيت (١٧) . حتى قيل : انه لم يجتمع قط بباب أحد من الملوك — بعد الخلفاء — ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ونجوم الدهر (١٨) . هذا بخلاف من كان في بلاطه من النحاة واللغويين كابن خالويه وابن جني .

ولقد كان الببغاء معتزاً بهذه الصلة حريصاً على دوامها وهكذا نجد شعره يؤرخ لكثير من وقائع سيف الدولة مسجلا مآثره وبطولاته وايامه . لكن الامر الجدير بالملاحظة ان صاحبنا كان بسبب حسه القومي المرهف يقف مواقف نبيلة من القبائل العربية التي تمردت على سيف الدولة . فهو يؤثر أن يستثير في اميره صفات الحلم والعفو حفاظاً على ابناء قومه العرب فيقول في وقعة كانت لسيف الدولة مع بني كلاب :

أعدها الى عادات عفوك محسنا
كما عوّدتها قبلُ آباؤك الشمُّ
فان ضاق عنها العذر عندك في الذي
جنته ، فما ضاق التفضل والحلم

(١٧) يتيمة الدهر ٢٨/١ (١٨) اليتيمة ٢٧/١ .

وهو موقف يأتلف مع مرقف المتنبي من الوقعة ذاتها إذ قال من قصيدة شهيرة :

وكيف يتم بأسك في اناس تصيبهمُ فيؤلمك المصاب
ترفـق أيها المولى عليهم فان الرفق بالجاني عتاب

وبسبب من سماحة خلقه لم تعرف له خصومة مع شاعر من شعراء البلاط الحمداني طوال حياة سيف الدولة ، ورغم طول مدته في هذا البلاط .

بل نراه يوفق بين المتناقضات بشكل يدل على رجاحة عقله ورصانته .

فرغم الصراع الذي كان دائراً بين أبي العشائر وابي فراس وابن خالويه من جهة وبين المتنبي من جهة اخرى ، نجد البيغاء على صلة طيبة بهما معاً .

فالبيغاء يُسَرّ كثيراً حين افلح سيف الدولة في افتداء ابي فراس من أسره سنة خمس وخمسين وثلثمائة ، فقال من قصيدته في الفداء :

وضمنت نفس أبي فراس للعلا اذ منه اصبحت النفوس براءَ
ما كان الاّ البدر طال سراره ثم انجلى وقد استتمّ بهاءَ

ليس هذا فحسب ، بل هو قد شارك أبا فراس في نخل ديوانه الكبير قبيل موته قال ابو الفرج البيغاء : واقفني على نفيه ، لانّه عرضه عليّ . فكل ما استضعفناه نفاه ، وما اجتمعنا على استجادته اقرّه ، وحرّره في نسخة تداولها الناس (١٩).

فهذه المشاركة في انتقاء اشعار ديوان ابي فراس ، تكشف عن الصلة الحميمة التي شدّت الشاعربن الى بعضهما .

ويشفّ خبر آخر عن الصلة الوثيقة التي جمعت بين شاعرنا والمتنبي ، حكى ابو الفرج البيغاء قال : « كان ابو الطيب يأنس بي ، ويشكو من سيف الدولة ويأمنني على غيبته له ، وكانت الحال بيني وبينه عامرة دون باقي الشعراء » (٢٠)

وكانت صلته بالنامي صلة التلميذ باستاذه ، فقد كان ممن روى عنه كما اسلفنا .

(١٩) نشوار المحاضرة ١/٢٢٥ . (٢٠) الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ص ٩٢ .

واذا استثنينا خلافاً عارضاً بينه وبين الخالدي – ولا ندري ايهما – كان سبباً في بيتين عرض بهما فيه (٢١) وهو خلاف لم نجد له صدى في ديوان الخالديين ، فلعله خلاف سُوِّى سريعاً . اقول اذا استثنينا ذلك ، فان صلة سلام وتوادد ومحبة ربطته بشعراء البلاط الحمداني ، جعلته في منأى عن المكائد وهكذا ظل على صلة طيبة بسيف الدولة حتى وفاته عام ٣٥٦ هـ فرثاه وتفجع عليه اصدق التفجع (٢٢) . بل نراه يتمزق من الاعماق إذ مرَّ بمغاني سيف الدولة بعد وفاته فقال :

عجبا لي وقد مررت بابيا ... تلك كيف اهتديتُ سبل الطريق
أتراني نسيت عهدك فيها ؟ ... صدقوا ! مـا لميّتٍ من صديق

كان سيف الدولة يجزل عطاء شعرائه ، حتى وسم الثعالبي هذه الصفة بانها انفجار ينابيع جوده على الشعراء (٢٣) . وانعكس ذلك على شاعرنا ، فاقتنى فاخر الثياب والرياش ، وملك العبيد والغلمان .
وتماكه العبيد ، دلالة يساره دونما شك .

وقد حفظت المصادر اسماء ثلاثة منهم ، اولهم : ابو الحسين المستهام الحلبي كان غلاماً له وللمتنبي وكان شاعراً وقد اورد له الثعالبي في تتمة اليتيمة اشعارا (٢٤) وثانيهم : ابن لبيب وقد روى عنه خبراً وشعراً (٢٥) .
وثالثهم : الحسين بن نبت وقد روى عنه صاحب نشوار المحاضرة (٢٦) .

★ ★ ★

جرت الحال رخاء بالببغاء في ظل سيف الدولة ، مرة واحدة دهمته علة بحلب الزمته الفراش ثلاث سنين متواليات ويئس الاطباء من برئه ، ويحدثنا هو

(٢١) انظر القطعة رقم ٦٩ .
(٢٢) انظر القطعتين ١١٣ و ٧٠ .
(٢٣) يتيمة الدهر ٣٢/١ .
(٢٤) تتمة اليتيمة ١١/١ .
(٢٥) يتيمة الدهر ٣٢/١ .
(٢٦) نشوار المحاضرة ٣٤/٥ .

عن هذه العلة الخطيرة فيقول (٢٧) . اعتللت بحلب علة خف منها بدني كله فكنت كالخشبة لا اقدر ان اتحرك ، ونحل جسمي وتقلبت في اغلال متصلة متضادة وانا من هذا ملقى خلف فراش ثلاث سنين متواليات وآيس الاطباء من برئي ، وقطعوا مداواتي وكان لي صديق يعرف بأبي الفرج بن دارم من أهل بلدي يعني نصيبين مقيم بحلب يلازم عيادتي وكان لفرط اغتمامه بي وان الأطباء أيسوا مني يظهر لي حزناً يؤلم قلبي ويؤيسني من نفسي ويجاوز ذلك الى التصريح لي باليأس وتوطيني . ثم تعـدى هذا الى أن صار لا يملك دمعته اذا خاطبني ، فضعفت عن تحمل ذلك ، وتضاعفت به علتي وخارت معه قوتي فاعتقدت ان اقول لغلامي أن يترصده فاذا جاء ليدخل علي قال له عني اني لا استحسن حجابه ، وان علتي قد تضاعفت بما أشاهده واسمع من خطابه ، ويسأله أن ينقطع عني أو يقطع مخاطبتي بما فيه إياسي ، وقررت عزمي عـلى ذلك في ليلـة من الليالي ولم أخاطب به غلامي .

فلما كان في صبيحة تلك الليلة باكرني ابن أبي دارم فحين وقعت عيني عليه تثاقلت به خوفاً من أن يسلك معي مذهبه ، وهممت بأن افتتح مخاطبته بما كنت عزمت على مراسلته به ، فسبقني بأن قال لي : قد جئتك مبشرا ، فقلت : بماذا ؟ قال : رأيت البارحة كأني بالرقة والناس يهرعون الى زيارة قبور الشهداء فقال ابو الفرج : وهم ممن قتلوا مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بصفين منهم عمار بن ياسر رضي الله عنه ، وحملوا الى ظاهر الرقة فدفنوا بها والحال في ذلك مشهور والقبور الى الآن مغشية معمورة ، فقال ابن أبي دارم : ورأيت كأن أكثر الناس مطيفون بقبة فسألت عنها ، فقيل لي : قبر عمار بن ياسر . فقصدتها واطلعت فيها فاذا القبر مكشوف وفيه رجل شيخ جالس بثياب بيض وفي رأسه ضربات بينة دامية ، وعلى لحيته دم والناس يقولون : هذا عمار بن

(٢٧) الفرج بعد الشدة ١/١٩٠ – ١٩١ .

ياسر . وكأني سلمت عليه والناس يسألونه فيجيبهم . فلحقتني حيرة ولم أدر عمّا أسأله . فقلت يا سيدي : لعلك عارف بأبي الفرج عبدالواحد بن نصر المخزومي المعروف بالببغاء . قال : انا عارف به . قلت : أتعرف ما به من الجهد والبلاء بالعلة الطويلة ؟ فقال : نعم . قلت : أفيعيش ويبرأ أم لا ؟ فقال : يعيش ويبرأ ، ولكن انت لك ابن الحذر عليه من علة تلحقه قريباً واستيقظت . قال : وأخذ يهنيني بالعافية ويقول : قد سرني لك ما جرى ، ولكن قد أوحشني في أمرا بني فأسأل الله الكفاية . قال ابو الفرج : وكان للرجل ابن عمره نحو الثلاثين سنة وهـو في الحال معافى ، فلما مضت خمسة أيام من الرؤيا حـمّ الفتى فقويت نفسي في صحة المنام . وما مضت إلا ايام يسيرة حتى مات الفتى وأدبر مرضي .

ولم تزل العافية تتزايد الى أن قويت وعاودت الى عادتي بعد مدة قريبة .

★ ★ ★

بعـد وفاة سيف الدولة ، آل الامر لولده سعد الدولة ، وقد اتصل به الببغاء (٢٨) ومدحه . ولكن انقسام الجيوش السيفية بعد وفاته ، وتحكم الغلمان وعلى رأسهم قرغويه وقتلهم أبا فراس خاله ، وضعف الامير الصغير الذي سقطت دولة الحمدانيين في عهده نظرياً بخضوعه للفاطميين تارة وللروم تارة ثانية .

كل هذه العوامل جعلته يبحث عن أمير يلوذ بظله ومكان يستقر فيه فكتب سنة ٣٥٨ هـ رسالة الى عدة الدولة أبي تغلب بن ناصر الدولة الذي كان شاعراً وكانت الموصل مقر امارته يذكر رغبته في قصده والانقطاع اليه ، وقد طرز رسالته هذه بغرر من شعره (٢٩) فورده الجواب بالمبادرة في المسير الى الموصل ، فتوجه اليها والقي أبا تغلب فاكرمه واقام بحضرته مدة ، الى أن سار عنها الى بغداد سنة ٣٥٩ هـ وجعل يعاود الموصل مرة ، ومدينة السلام اخرى (٣٠) .

ويبدو ان عدم استقراره بالموصل الى جانب ابي تغلب كان مرده الصراع

(٢٨) انظر القطعة رقم ٨٣ .
(٢٩) يتيمة الدهر ١/٢٦٥ – ٢٦٦ .
(٣٠) يتيمة الدهر ١/٢٦٦ .

الشديد بين ابي تغلب واخوته ، وهو صراع دموي انتهى الى انهيار دولتهم على يد البويهيين وتشرد ابي تغلب ثم مقتله عام ٣٦٩ هـ .

كان الببغاء يتردد على الموصل قاعدة ابي تغلب ، وتحفظ المصادر الادبية لنا نصامهما تولى فيه الاجابة باسم ابي تغلب على رسالة عز الدولة بختيار البويهي التي دبّجها ابو اسحاق الصابي بمناسبة زفاف ابنة بختيار لابي تغلب (٣١) .

ان انهيار دولة الحمدانيين في الموصل جعل شـاعرنا يستقر ببغداد نهائياً بعد ان اتيح له التغلغل في اوساطها الادبية وعقد صلات مودة مع أركان الحركة الادبية كأبي اسحاق الصابي ويحيى بن محمد بن فهد الازدي والمحسن بن علي التنوخي وسواهم .

كان الببغاء متعدد الجوانب الادبية ، فهو شاعر مجيد وكاتب مترسل وقاصّ مفتن له كتاب في القصص . وتعدد جوانبه الادبية وسّع من دائرة محبيه وعارفي فضله .

وكانت له قبل استقراره ببغداد مراسلة وتوادد مع الوزير المهلبي الحسن بن محمد الذي وزر لمعز الدولة عام ٣٣٩ هـ وكان كريماً فاضلا اديباً شاعراً كفوا ، دامت وزارته ثلاث عشرة سنة وزيادة ، وكان الببغاء آنذاك يعيش في ظل سيف الدولة . وقد حفظ لنا الثعالبي انموذجاً من هذه الرسائل المطرزة بشعره (٣٢) إلا ان المهلبي توفي عام ٣٥٢ هـ ، وسيف الدولة حي . كذلك فقـد الببغـاء قبل استقراره ببغداد اميراً شاعراً فارساً هو جعفر بن محمد بن ورقاء الشيباني الذي كان من رؤساء العرب والمختصين بسيف الدولة ، وتقلد عدة ولايات ، وكانت بينه وبين شـاعرنا مراسلة ومدائح حفظ الثعالبي بعضها فقـد مات ابن ورقاء عام ٣٥٢ هـ .

وتذكر المصادر عن صلته بابي اسحاق الصابي ان كلا منهما كان

(٣١) يتيمة الدهر ١/٢٧٢ – ٢٧٣ . (٣٢) انظر اليتيمة ١/٢٦٤ – ٢٦٥ .

يتمنى لقاء صاحبه ، ويكاتبه ويراسله ، فاتفق ان أبا الفرج الببغاء قدم مرة بغداد وابو اسحاق معتقل منذ مدة بعيـــدة ، فلم يصبر عنه ، فزاره في محبسه ، ثم انصرف عنه ، ولم يعاوده ، فكتب اليه الصابي قصيدة طريفة فيها آيات من من رقيق التشوق والعتاب فأجابه الببغاء في الحال مع رسوله بابيات من البحر والقافية ذاتها (٣٣) فانتهى الابتداء والجواب الى عضد الدولة ، فاعجب بهما واستظرفهما ، وكان ذلك أحد أسباب إطلاق أبي اسحاق من اعتقاله ، ثم اتصلت بينهما المكاتبة والمودة والتراسل شعراً ونثراً (٣٤) ، حتى كانت وفاة الصابي سنة ٣٨٤ هـ .

وربطت المودة كذلك بينه وبين شاعر ناثر هو يحيى بن محمد بن سليمان بن فهد الازدي الموصلي ، الذي كان والده محمد بن سليمان كاتباً لسيف الدولة من ٣٣٥ – ٣٤٢ هـ ، فكان احدهما لا يطيق فراق صاحبه (٣٥) وحدث ان الببغاء توجه من بغداد الى الموصل ، فكتب الازدي اليه يتشوقه (٣٦) :

ظعنتَ فما لأُنسي من ثواء ... وبِنْتَ فبان عن قلبي السرور
ولو اني قضيتُ حقوق نفسي ... تبعتك كيفما جرت الامور
وودّي ليس ينقصه مغيب ... كما لا يستزيد له حضور
فإنْ تبعد فانك ملْ صدري ... وودك جلّ ما تحوي الصدور

فأجابه ابو الفرج بابيات اخوانية بديعة (٣٧) . وتعددت بينهما المراسلات الشعرية والنثرية (٣٨) .

---

(٣٣) اعتقل الصابي سنة ٣٦٧ هـ واطلق سنة ٣٧١ هـ .
(٣٤) يتيمة الدهر ١/٢٦٧ – ٢٧١ .
(٣٥) وجده سليمان من فهد بن أحمد الازدي من سراة الموصل وكان جني والد ابن جني مملوكا روميا من مماليكه .
(٣٦) نشوار المحاضرة ٢/٥٢ .
(٣٧) انظر القطعة ٥٣ .
(٣٨) انظر القطعة ١١٢ .

وكانت صلة البيغاء بالتنوخي صاحب النشوار وثيقة، تشف عنها المرويات الكثيرة التي رواها الاخير عن الاول في كتابيه النشوار والفرج بعد الشدة. وتشف عنها ايضاً المجالس الادبية التي كانت تجمعهما (٣٩) وكان المحسن بن علي التنوخي شديد الاعجاب بشاعرية البيغاء، فقد قال في معرض انتقائه ابياتاً من قصيدة لابي الفرج « وهي حقيقة بان تورد كلها ولكنني اخترت من شعره، ما يصلح للمكاتبة في الحوادث، أو الامثال، أو معنى لم يسبق اليه، فتركت اكثر محاسن شعره، وحسن نظمه، وبلاغته، وعذوبة كلامه، واكثر احسانه، موكولاً الى من ينظر في ديوانه »(٤٠).

وكانت قد لحقت المحسن التنوخي محنة عظيمة من السلطان فكتب البيغاء اليه رسالة بليغة يتوجع اليه فيها ترسم اصدق صورة عما بينهما من مودة (٤١).

وتمضي الايام ويستوزر سابور بن أردشير سنة ٣٨٠ هـ، ثم يعزل، ثم يعاد الى الوزارة ويعزل منها عدة مرات آخرها سنة ٣٩١ هـ وتحفظ لنا الايام قطعتين قالهما شاعرنا في مدحه يطلب رفده (٤٢).

وفي سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة خرج ابو جعفر نائب بهاء الدولة من بغداد لقتال الثائرين من قبائل العرب من عُقيل وبني أسد. فلما سار عن بغداد اختلت الاحوال بها، وعاد أمر العيارين فظهر، واشتد الفساد، وقُتلت النفوس، ونُهبت الاموال، وأحرقت المساكن، فبلغ ذلك بهاء الدولة، فسيّر الى العراق لحفظه أبا علي بن أبي جعفر المعروف باستاذ هُرمُز، ولقبه عميد الجيوش، فوصل ابو علي الى بغداد، فمنع المفسدين، فسكنت الفتنة وأمن الناس (٤٣).

---

(٣٩) انظر القطعة ٤٧.

(٤٠) نشوار المحاضرة ١٠٣/١.

(٤١) الفرج بعد الشدة ٣٥ ـ ٣٦.

(٤٢) انظر القطعتين ٥٤ و ٥٦ وسابور وزير بهاء الدولة البويهي وكان كاتباً ممدحا جوادا إجتمعت حوله طائفة كبيرة من الشعراء من بينها البيغاء والنامي والسلامي والحاتمي وابن بابك والخالع والحمدوني وابن لؤلؤ وسواهم.

(٤٣) كامل ابن الاثير ١٧١/٩.

ويبدو ان المحنة التي تعرضت لها بغداد عام ٣٩٢ هـ قد كوت الببغاء بنارها ، ففرّ عبيده ، وأودت ثيابه ، وبيعت فروشه ، وبات يشكو العسر ، فقال مخاطباً عميد الجيوش بابياته التي اولها :

سألت زماني بمن اســتغيث ... فقال استغث بعميد الجيوش
نبت بيَ داري وفرّ العبيــد ... وأودت ثيابي وبعت فروشي
وكان غذائي نقي الارزّ ... فها أنــا مقتنع بانحشيش

وصار يبدو بوضوح ان الببغاء يعاني محنة اقتصادية خانقة يدل عليها قوله: (٤٤)

أكلٌ وميضِ بارقةٍ كــذوبُ ... أما في الدهر شيٌ لا يُريبُ ؟
تشابهت الطباعُ فلا دنيءٌ ... يحنّ الى الثناء ولا حسيب
وشاع البخلُ في الاشياء حتى ... يكاد يشحّ بالريح الهبوب
أبى لي أن اقول الهُجْرَ قدرٌ ... بعيدٌ ان تجاوره العيوب
فكيف اخصّ باسم العيب شيئاً ... واكثر ما نشاهده معيب ؟ !

★ ★ ★

كتب ابو الفرج ابياته الشينيه عام ٣٩٢ هـ ووجهها لعميد الجيوش ، وقبل ذلك بعامين التقى به الامير ابو الفضل عبدالله بن احمد الميكالي عند صدوره من الحج ووصوله بغداد في سنة ٣٩٠ هـ ، فرآه « شيخاً عالي السن ، متطاول الأمد ، نظيف اللبسة ، بهيّ الركبة ، مليح اللثغة ، ظريف الجملة ، قد أخذت الأيام من جسمه وقوته ، ولم تأخذ من ظرفه وأدبه ، وانه مدح أباه الامير أبا نصر بقصيدة فريدة أجزل عليها صلته » (٤٥) .

وهذا النص يعزز ان العسر والمحنة التي عاناها الببغاء بدأت في عام ٣٩٢هـ بفعل ما صنعه العيارون ببغداد .

(٤٤) تاريخ بغداد ١١/١١ واليتيمة ٢٨٢/١ .
(٤٥) يتيمة الدهر ٢٥٢/١ .

ثم لا نظفر بخبر عنه بعد ذلك حتى اختاره الله الى جواره ليلة السبت لثلاث بقين من شعبان سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة رحمه الله (٤٦) . وقيل يوم السبت سلخ شعبان سنة ثمان وتسعين وثلثمائة (٤٧) واكتفى ابن الجوزي والسمعاني والذهبي والسيوطي بالقول انه توفي في شعبان من سنة ثمان وتسعين وثلثمائة (٤٨)

واورد ابن العماد الحنبلي روايتي الخطيب البغدادي وابن خلكان (٤٩) واكتفت مصادر اخرى بذكر سنة وفاته فقط دون تحديد اليوم والشهر كالزافي ١٥ — ٢٨٥ وكامل ابن الاثير ٩—٢٠٩ والعبر ٣ — ٦٨ والنجوم الزاهرة ٤—٢١٩ والله العالم .

آثاره :

١— ديوان شعره : ذكره ابن النديم وقال : شعره ثلثمائة ورقة (٥٠) . فاذا عرفنا ان عدة الورقة عشرون بيتاً . كانت عدة ديوانه ستة آلاف بيت .

وذكره مصنفون كثار منهم : ابن الاثير (٥١) والذهبي (٥٢) وحاجي خليفة (٥٣) واسماعيل الباباني (٥٤) . وهو مفقود في زمننا هذا .

وكان المستشرق Wolff قـد نشر سنة ١٨٣٤ شعره الذي في يتيمة الدهر وعلق عليه . وقد عقب عليه المستشرق E. G. Schults بملاحظات تتناول تلك النشرة وذلك سنة ١٨٣٨ (٥٥) .

فمحاولتنا هذه هي المحاولة الاولى في عصرنا هذا ، وقد عولنا فيها على

---

(٤٦) تاريخ بغداد ١٢/١١ .
(٤٧) وفيات الاعيان ٢٠٢/٣ .
(٤٨) الانساب ٦٥ والمنتظم ٢٤٣/٧ واعلام النبلاء ١٩/١١ واللباب ١١٧/١ .
(٤٩) الشذرات ١٥٢/٣ .
(٥٠) الفهرست ص ١٩٥ .
(٥١) الكامل ٢٠٩/٩ .
(٥٢) مخطوطة سير اعلام النبلاء ١٩/١١ .
(٥٣) كشف الظنون ٧٧٣ .
(٥٤) هدية العارفين ٦٣٣/١ .
(٥٥) بروكلمان : الترجمة العربية ٩٩/٢ .

المخطوطات الدفينة بعد استقصاء وافٍ للمطبوع . وهي محاولة تحنّ الى مـن يستدرك عليها فيثريها .

٢ـ كتاب رسائله : اشار ابن النديم الى ان للببغاء رسائل (٥٦) لم يحدد عدة اوراقها . وقد حفظ الثعالبي عدداً منها (٥٧) ولعل « صبح الاعشى » اثرى المظان التي احتجنت عدداً كبراً من رسائله (٥٨) . وقد تناول الدكتور زكي مبارك هذه الرسائل بالدراسة في كتابه « النثر الفني » (٥٩) .

٣ـ كتاب في القصص : ان موهبة الببغاء في كتابة القصص ، موهبة جديرة بالتقدير والملاحظة . وقد اورد الثعالبي واحدة منها في اليتيمة (٦٠) واورد المحسن التنوخي عدداً منها في كتابه « الفرج بعد الشدة » (٦١) دون ان يذكر اسم الكتاب الذي نقل عنه مكتفياً بالقول : وجدت في كتاب أبي الفرج المخزومي الحنطبي . غير ان هذا الكتاب قد ضاع هو الآخر . ويبدو ان شهرة الببغاء بكتابة القصة كانت من ميزاته المعروفة قديماً فإليها اشار ابو اسحاق الصابي بقوله مخاطباً شاعرنا :

فحوشيتَ يا قسّ الطيور فصاحة إذا أُنشد المنظوم أو دُرس القَصَص

مكانته الادبية عند القدامى والمحدثين :

على الرغم من ان الثعالبي يسرف في مدح الشعراء الذين ترجم لهم ، إلاّ ان العبارات التي حلّى بها ترجمة الببغاء رغم السجع الذي التزمه ، تضمنت حقائق عدة . قال عنه : « نجم الآفاق ، وشمّامة الشام والعراق ، وظَرْف الظرف

---

(٥٦) الفهرست ١٩٥ . (٥٧) انظرهافي يتيمة الدهر ٢٥٢/١ – ٢٧٣

(٥٨) صبح الاعشى : الجزء التاسع ص ٢٢–٢٣ – ٣٢ – ٣٤ – ٣٥ – ٤١ – ٤٢ – ٤٤ – ٤٧ – ٥٠ – ٥١ – ٥٢ – ٥٣ – ٥٤ – ٥٥ – ٦١ – ٦٢ – ٦٤ – ٦٥ – ٦٦ – ٧٢ – ٧٣ – ٧٦ – ٧٧ – ٧٩ – ٩٦ – ٩٧ – ٩٨ – ١٢١ – ١٢٢ – ١٢٣ – ١٣٢ – ١٣٣ – ١٤٢ – ١٤٤ – ١٧٠ – ١٧١ – ١٧٢ – ١٨٤ .

(٥٩) النثر الفني ٢٨٤/٢ – ٢٩٥ . (٦٠) ٢٥٣/١ – ٢٦١ .

(٦١) الفرج بعد الشدة ص ٩٥ – ٩٨ – ١٥٩ – ١٧٦ – ٢٠٧ – ٢٥٢ .

وينبوع اللطف ، واحد أفراد الدهر ، في النظم والنثر ، له كلام بل مُدام ، بل نظام من الياقوت بل حَبّ الغمام ، فنثره مستوف اقسامَ العذوبة ، وشروط الحلاوة والسهولة ، ونظمه كأنه روضة منورة تجمع طيباً ومنظراً حسناً ، وقـد أخرجتُ من شعره ، ما يشهد بالذي أجريت من ذكره » (٦٢) .

ووصفه الخطيب البغدادي بانه « كان شاعراً مجوداً ، وكاتباً مترسلا ، مليح الالفاظ ، جيد المعاني ، حسن القول في المديح ، والغزل ، والتشبيه ، والاوصاف وغير ذلك » (٦٣) .

وقال ابن خلكان عن شعر البيغاء : « واكثر شعر ابي الفرج المذكور جيد ومقاصده فيه جميلة (٦٤) واجمل ابن الجوزي رأيه في قوله : « كان أديباً فاضلاً وكاتباً مترسلاً وشاعراً مجيداً لطيفاً (٦٥) وعدّه الصفدي أحد من أجادوا التشبيه .

وقال ابن تغري بردي عنه : « وكان شاعراً مجيداً وكاتباً مترسلاً ، جيد المعاني حسن القول في المدائح » (٦٦) .

وقد مرّ بنا ما وصف به المحسن بن علي التنوخي شعرَ البيغاء .

امّا المحدثون فالدكتور زكي المحاسني ، عدّه من أكابر الشعراء الحمدانيين وممن جمع بين الصناعتين (٦٧) .

ووصفه الدكتور عمر فروخ بانه : « شاعر مكثر فخم الالفاظ متين التركيب يميل الى الصنعة ولا يتكلف ، فتأتي معانيه جياداً وصوره الشعرية جميلة ، ثم هو معجبٌ بالمتنبي يطبع الشعر على غراره احياناً وعلى غرار شعر البحتري . وهو بارع في الوصف والخمر والغزل حسن المديح والرثاء . حتى قال : وابو الفرج البيغاء اديب ناثرٌ جيد الترسل والسرد . . . وكان نثره سهلاً عذباً » (٦٨) .

---

(٦٢) يتيمة الدهر ٢٥٢/١ .
(٦٣) تاريخ بغداد ١١/١١ .
(٦٤) وفيات الاعيان ٢٠٢/٣ .
(٦٥) المنتظم ٢٤١/٧ .
(٦٦) النجوم الزاهرة ٢١٩/٤ .
(٦٧) شعر الحرب عند العرب ص ٢١٨ .
(٦٨) تاريخ الادب العربي ٦١٣/٢ .

وعقد الدكتور زكي مبارك فصلا قصيراً للحديث عن البيغاء فقال انه : كان من اركان الحياة الادبية في زمنه ، ولكن المؤلفين لم يتحدثوا عنه إلا قليلا ، فكان من نتائج ذلك أن قلت المصادر التي تكفي لتعيين اتجاهاته الادبية . واستنتج من ذلك انه لم يكن مشاغباً وكان في حياته هادئ النفس قليل المطامع محدود الآمال وان صلاته بالملوك والرؤساء وقفت عند الحدود الضيقة ، حدود السمر والانس حول بساط السلاف . وقال : وإنا لنراه يدور حول شهواته وأغراضه النفسية في أكثر ما أثر عنه من المقطوعات والرسائل والأقاصيص . . بحيث نستطيع أن نقدر انه كان لا يرجو من صلات الملوك والوزراء والرؤساء اكثر من أن ينضو عن نفسه ثوب الفاقة والإملاق ، وأن يكون في يده من الذهب ما يقتنص به شوارد اللذات ، وأوابد الأهواء .

وفي هذا الذي نقضي به تعليل لصفاء شعره الوجداني ، فقد كان شعر البيغاء يُغَنّى به ، وكان من مُتع السامرين في الشام والعراق (٦٩) .

ثم استشهد ببعض معانيه الدقيقة التي لا يحسنها إلا من يفرغ لامثالها من شعراء الوجدان (٧٠) . ثم انتهى الى القول : ان شعر ابي الفرج تغلب عليه النزعة الوصفية وذلك يتصل بمذهبه في النثر أشد اتصال . . . وهو يبدع احياناً ويروع حتى لنعده في طليعة الشعراء . . . وله أوصاف حية جداً تكاد تنطلق بمعاني الموصوف » (٧١) .

وبعد : فهذه محاولة لتأطير ترجمة البيغاء ، بلمّ اشتاتها وربطها ببعضها في تسلسل زمني ، والاستعانة بشعره في تفسير ما غمض من جوانب حياته ، أردفتها بديوانه الذي بذلت الجهد في جمعه .

واني لارجو ان يكون هذا الديوان حافزاً لذوي الهمم على دراسة شعره دراسة

---

(٦٩) النثر الفني في القرن الرابع ٢/٢٧٥ - ٢٧٦ .
(٧٠) النثر الفني ٢/٢٧٧ .
(٧١) النثر الفني ٢/٢٨١ - ٢٨٢ .

تكشف ملامحه الفنية الاصيلة ، وتضعه في موضعه اللائق به بين شعراء القرن الرابع الهجري . والحمد لله على ما انعم ، وعلى ما سدّد وأرشد وقوّم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

هلال ناجي

★ ★ ★

[١]

وقال ابو الفرج الببغاء في اليؤيؤ : [رجز]

ويُؤْيؤٍ(١) أوحى من القضاء
مُمتَّع الصورة والأعضاء
ذي سُفْعَةٍ (٢) في خدِّه سوداء
مُخْبِرَةٍ عن هِمَّةٍ بيضاء
ومُقْلةٍ صَفَتْ من الأقذاء
تَشفُّ عن ياقوتةٍ صفراء
يلعبُ منها في غديرِ ماء
بعيدةِ المطرحِ والانحاء
تخبرُ في الارض عن السّماء
ألطف في الجوِّ من الهواء
مُبايناً بالطبعِ لِلْمُكّاء (٣)
تباينَ الغَدْرِ من الوَفاء

التخريج : مخطوطة مباهج الفكر المرقمة ٤١١٦ بمكتبة الفاتح الورقة ٣٠٩ .

(١) صنف من الصقور يمتاز بخفة الجناحين وسرعتهما ، قصير الذنب ، يتعلق بما يفترسه ، ويصيد ما هو أجل منه .

(٢) السفعة : السواد المشرب حمرة .

(٣) المكاء : طائر من القنابر له تصعيد في الجو وهبوط ، ابيض اللون وله صفير حسن .

[٢]

وقال : [الخفيف]

ومُدامٍ كأنها في حشا الدَ ... ن صباحٍ مقارنٌ لمساء
فهْيَ نفسٌ لها من الطين جسمٌ ... لم تُمتَّعْ فيه بطول البقاء
ما توهمْتُ قبلها أن في المعـ ... ـلم ناراً تُذْكى بقرع الماء
بُزِلَتْ والضحى عن الليل محجو ... ب فلاحَتْ كالشمس في الظلماء
وتلاه الفجرُ المنيرُ فعفنـ ... ـا ه لأنّا عن نوره في غَناء
ما استزَدْنا به ضياء على أيـ ... ـسر ما كان عندنا من ضياء
ما زَجَتْ جوهرَ الزجاج فجاءت ... كشُعاعٍ ممازج لهواء
وتحلّتْ من الحباب بدُرٍّ ... يتلاشى باللحظ والإيماء
بينما تكتسي به زَبَدَ البلو ... ر حتى ترفّضّ مثلَ الهباء
فكأنّا بين الكؤوس بدورٌ ... تتهادى كواكبَ الجوزاء
وكأنّ المديرَ في الحُلّة البيـ ... ـضاء منها في حُلّة صفراء
حبّذا العيشُ حيث تَسْري الأماني ... بين جِدّ الغنى وهَزْل الغناء
حيث سُكْرُ الشباب أقضى على قلـ ... ـبي وأمضى من نَشْوة الصهباء

التخريج : يتيمة الدهر ١/٢٧٨ .

[٣]

وله في وصف بركة : [المتقارب]

وقوراء كالفلك المستدير ... ترقرقُ العيون بالأدمعها
حبَتْها البحارُ بأمواجها ... وسُحْبُ السماء بأنوائها

كأنّ تدفّق تيارها يداك تفيض بنعمائها
وجودك أغزرُ من جريها وخُلْقُك أعذب من مائها

التخريج : يتيمة الدهر ١/٢٨٦ .

[٤]

وله من رسالة شكر كتبها الى عُدّة الدولة ابي تغلب بن ناصر الدولة :

[الكامل]

١ـ وأنا الذي عَمّمْت مَنْ طلب الغنى كيف الطريقُ الى الغنى برجائه
٢ـ فظللت مَخْصُوصاً بحمد عُفاته وغدوتُ ممدوحاً بشكر عطائه
٣ـ وأفَدْتُ قدْماً مُعْجزات فضائلي من نُور فطنته ونار ذكائه
٤ـ فإذا نطقتُ نطقتُ من ألفاظه واذا وهبتُ وهبتُ من نَعْمائه

التخريج : يتيمة الدهر ١/٢٦٧ .

والرابع لوحده في شرح المضنون به على غير اهله ص ٢١٥ .

[٥]

كان سيف الدولة أقام الفداء بشاطئ الفرات في رجب سنة خمس وخمسين وثلثمائة ، فانفق عليه خمسمائة الف دينار ، وأخرج كلّ من قدر على إخراجه من أسارى المسلمين من بلد الروم ، واشترى كلّ أسير من ضعاف الناس بثلاثة وثمانين ديناراً وثلث رومية ، فأمّا النجلّة ممن كان أسيراً ، ففادى بهم رؤساء

كانوا عنده أسرى من الروم .

فقال البيغاء يمدحه :

١- ما المال إلاّ ما أفاد ثناءَ ... ما العزُّ إلاّ ما ثنى الأعداء

٢- شَحَتْ على الدنيا الملوك وعافَها ... من لم يُطِعْ في حفظها الأهواء

٣- باع الذي يَفْنى بما أبقَى له ... ذِكْراً إذا دَجَتِ الخطوبُ أضاء

٤- فليهنِ سيفَ الدولة الشرفُ الذي ... لو كان مرئياً لكان سماء

٥- وطهارةُ الخُلُق الذي لو لم يكن ... عَرَضاً من الأعراض كان الماء

٦- ورجاحة الحلم الذي لو حَلَّ بالـ ... هضبات من رَضْوى ثَناه هَباء

٧- بدرٌ تحققت البدور بأنها ... ليستْ وإن كمَلَتْ له أكفاء

٨- أَلْقَى اليه الدهرُ صَعْبَ قيادِه ... فاستخدم الأيّام فيما شاء

٩- أمُحَقِّقَ الآمالِ بالكَرَم الذي ... أحْيا العُفاةَ وبَخّلَ الكُرماءَ

١٠- شكرَ الإلهمن اهتمامك بالهدى ... ما زاد باهر نورِه استعلاء

١١- راعيته وسواك في سِنَةِ الهوى ... ما ذاد عنه كسيفك الأعداء

١٢- وفديتَ من أسر العدوّ معاشراً ... لولاك ما عرفَ الزمان فداء

١٣- كانوا عبيد نَداك ثم شَرَيْتَهُم ... فَغَدوا عبيدك نِعْمَةً وشراء

١٤- والأسْرُ احدى الميتتين وطالما ... خلدوا به فأعدتهم أحْياء

١٥- وضمِنْتَ نَفْسَ أبي فراسٍ للعلا
إذْ منه أصبحت النفوس بَراء

١٦- ما كان إلاّ البدر طال سرارُهُ
ثم انجلى وقد استتمَّ بَهاء

١٧- يومٌ غدا فيه سماحُك يعتق الـ
أسراء منك ويأسر الامراءَ

١٨– خُصَّتْ بنو حمـــدان منـــه بنعمة
عَمَّتْ بفضلك تَغْلِبَ الغلبـــاء

التخريج : القصيدة في تكملة تاريخ الطبري لمحمد بن عبدالملك الهمذاني ص ٤٠٤ – ٤٠٥ والابيات ١ و ١٢ – ١٧ في نشوار المحاضرة ١/٢٨١ .
ورواية عجز الاول : إلا ما حمى الاعداء . وهو تحريف بين .
ورواية الحادي عشر في التكملة : لسيفك الاعداء ، وهو تحريف فصوبناه .
ورواية الثامن (فيما استاء) وهو تحريف فصوبناه .

[٦]

وقال من رسالة كتبها الى سيف الدولة :

ان تعلم الايام موضع عبـــده من عـــزّه ومكانـــه من رائِهِ
بشواهدِ الخِلَعِ التي يغـــدو بها متطاولاً شَرَفاً على نُظرائِهِ
فمن العجائب حبسَ توقيعٍ له ومُوَقَّعُ التوقيع مـــن شُفَعائِهِ

التخريج : قطعة من نشوار المحاضرة ليست ضمن ما نشره عبود الشالجي في اجزائه الثمانية انظر
Raad XII 1932, P. 191
وانظر نخب تاريخية وادبية لماريوس كانار ص ٣٥٣ .

[٧]

وقال ملغزاً في المروحة :

وذاتِ وصفٍ خُصَّ بالثناءِ
مُشْتَقَّةِ الافعالِ والاسمـــاءِ
من صفةِ الارواحِ والانـــداءِ
كأنّما صِيغَتْ مِنَ الـــهواءِ

تطرفنا في الصيفِ والشتـــاء

التخريج : مخطوطة الاعجاز في الاحاجي والالغاز للحظيري الورقة ٣٤ (مصورة في مكتبتي) .

[٨]

قال ابو الفرج البيغاء يصف السنجاب :

١ــ قد لمونا الذكاء في كلّ نابِ ... فوجدناه صنعةَ السنجـــاب (١)

٢ــ حركاتٌ تأبى السكون وألحـــا ... ظٌ حِدادٌ كالنارفي الالتهابِ

٣ــ خفٌ جداً على النفوس فلو شا ... ءَ ترامى محاوراً للتصـــابي

٤ــ واشتهتْ قُربَهُ العيونُ الى أنْ ... خِلْتُه عندها أخـــاً للشباب

٥ــ لابساً جلدةً إذا لاح خلـــنا ... هُ بها في مُزَرَّةٍ (٢) من سحاب

٦ــ لو غدا كل ذى ذكاءٍ نطوقاً ... ردّ في ساعة الخطاب جـــوابي

التخريج : الابيات في مخطوطة مباهج الفكر المرقمة ٤١١٦ ــ مكتبة الفاتح الورقة ٢٥٥ .
ورواية الاول : صبغة السنجاب .
وهي في نهاية الارب ٢٧٨/٩ .
رواية الاول : صنعة السنجاب ، وقد اثبتناها .
ورواية الثالث : مجاوراً للتصابي
ورواية الخامس : لابس .

(١) السنجاب : حيوان اكبر من الجرذ حسن الوبر لونه ازرق وبطنه ابيض ومنه ما يكون ظهره احمر . اشتهر بخفة الصعود وله ذنب طويل كثيث الشعر مرفوع . وجلده ثمين تتخذ منه الفـــراء . (٢) المزرة : جبة ذات ازرار .

[٩]

[رجز]

قال ابو الفرج البيغاء يصف العقاب :

ما كُلُّ ذاتِ مِخْلَبٍ وناب

من سائرِ الجارحِ والكلابِ
بمُدْرِكٍ في الجدِّ والطِلابِ
أيسرَ ما يُدْرِكُ بالعُقابِ(١)
شربةُ الصبغةِ والانسابِ
تطيرُ من جَناحها في غابِ
وتسترُ الارضَ عن السَّحابِ
وتحجبُ الشمسَ بلا حجابِ
يَظلُّ منها الجوُّ في اغترابِ
مُسْتَوْحشاً للطيرِ كالمرتابِ
ذكيةً تنظرُ من شهابِ
ذاتَ جرانٍ (٢) واسعِ الجلبابِ
ومَنكِبٍ ضَخْمٍ أثيثٍ(٣) رابِي
ومَنْسِرٍ (٤) مُوَثَّقِ النِّصابِ
وراحتَيْ ليثٍ شَرِيٍّ غلّابِ
لَبِطَتْ الى براثنٍ طِلابِ
مُرْهَفةٍ أمضى من الحرابِ
فكُلّما حَلّقَ في الضَّبابِ
لِمُلْكِها خاضعةُ الرِّقابِ

التخريج : مخطوطة مباهج الفكر المرقمة ٤١١٦ – الفاتح الورقة ٣٠٣ وهي في نهاية الارب ١٠ / ١٨٣ – ١٨٤.

(١) العقاب : طائر من الجوارح قوي المخالب وله منقار اعقف .
(٢) الجران : باطن العنق وقيل مقدمه .
(٣) الاثيث : الملتف الكثير من النبات والشعر .
(٤) المنسر : منقار الجوارح .

[١٠]

وكان ابو اسحاق الصابي قد كتب الى أبي الفرج البيغاء أبياتاً في صفة القبج والخطاطيف ، ثم كتب اليه ارجوزة في صفة البيغاء اولها :

أنعتُها صبيحة مليحَهْ ناطقة باللغة الفصيحَهْ

فأجابه البيغاء بالارجوزة التالية :

١– من منصفي من حَكَم الكُتّاب شمس العلوم قمر الآداب ؟
٢– أمسى لاصناف العلوم مُحرِزا وسامَ ان يُلحق لمّا برَّزا
٣– وهلْ يُجاري السابقَ المقصَّرُ أم هل يباري المدركَ المعذرُ ؟
٤– ما زال بي عن غرَضٍ مُعَرَّضا ولي بما يصدره مستنهضا
٥– فتارةً يعتمد الخطّافا ببِدَعٍ تستغرق الاوصافا
٦– وتارةً يُعنى بنعت القَبْجِ من منطق لفضله محتجّ
٧– يحومُ حول غرَضٍ معلوم ومقصدٍ في شعره مفهوم
٨– حتى تجلّت رغوة الصريح وسام التلويحُ للتصريح
٩– وصحّ ان البيغاء مَقْصِده بذكر ما كان قديماً يُورده
١٠– فلم يَدَعْ لقائلٍ مقالا فيها ولا لخاطرٍ مجالا
١١– أهْدى لها من كل نعتٍ أحسنه وصاغ من حَلْيِ المعاني أزْيَنَهْ
١٢–أحال بالريش الأشيب(١) الأخضر وباحمرار طَوْقها والمنسر
١٣– على اختلاط الروض بالشقيق وأخضر الميناء بالعقيق
١٤– تزهى بدوّاجٍ (٢) من الزبرجد ومقلة كسَبَجٍ (٣) في عسجد

(١) الاشيب : المختلط .
(٢) الدواج : لحاف يلبس .
(٣) السبج : خرز ناعم اسود .

١٥- وحُسن منقارٍ أشـمَّ قـاني ... كأنّما صيـغ من المرجـان
١٦- صيّرها انفرادها في الحبس ... بنطقها من فُصَحـاء الإنس
١٧- تميّزت في الطير بالبيـان ... عن كل مخلوق سوى الإنسان
١٨- تحكي الذي تسمعه بلا كَذِبْ ... من غير تغيير لجدّ أو لعب
١٩- غذاؤها أزكى طعام وُجـدا ... لا تشرب الماء ولا تخشى الصَّدا
٢٠- ذات شُعى (٤) تحسَبُهُ ياقوتا ... لا ترتضي غير الأرزّ قوتـا
٢١- كأنّما الحَبّةُ في منقارها ... حبابة تطفو على عُقـارهـا
٢٢- إقدامُها ببأسِها الشـديدِ ... أسكَنَها في قفص الحـديد
٢٣- فهي كَخَوْدٍ في لباس اخضر ... تأوي الى خركاوة (٥) لم تستر
٢٤- فوضعها المعجز ما لا يُدرك ... ومثلُـهُ في غيـرها لا يُملك
٢٥- لو لم تكنْ لي لَقَباً لم اقتصرْ ... لكن خَشِيتُ ان يقال متتصرْ
٢٦- وانمـا تبعتُ باشـتقاقي ... لوصفها حـذوَ أبي اسـحاق
٢٧- شَرَّفَها وزاد في تشريفها ... بمُلَح أبْدَعَ في تفويفهـا
٢٨- فكيف أجْزي بالثناءِ المنتخب ... مَنْ صَرَف المدح الى اسْمي واللّقبْ

(٤) في الاصل والمصادر : ذات شغا . والشغا : اختلاف نبتة الاسنان بالطول والقصر والدخول والخروج .
ولم اجد لها وجها ، فلعلها : ذات شعى ، وهي خصل الشعر ، التي تكون على رأس الببغاء ولونها قرمزي احمر كلون الياقوت .
(٥) الخركاة : خيمة الامراء وسرادق الملوك والوزراء (انظر الالفاظ الفارسية المعربة – ادي شير ص ٥٤) .

التخريج : القصيدة في مخطوطة مباهج الفكر المرقمة ٤١١٦ – الفاتح . الورقة ٣٢١ . وهي ايضاً في يتيمة الدهر ١/٢٧٠ – ٢٧١ .
رواية صدر الثاني : أضحى لأوصاف الكلام محرزا .

= ورواية الثالث : أم هل يساوي .
ورواية صدر الرابع عشر : من الزمرد .
ورواية التاسع عشر : طعام رغدا .
ورواية الثالث والعشرين : تأوي الى خركاهة .
ورواية الرابع والعشرين : ووصفها المعجز .
ورواية الخامس والعشرين : لم اختصر .
ورواية السادس والعشرين : وانما تنعت باستحقاق لوصفها حذق أبي اسحاق .
ورواية السابع والعشرين : بحكم ابدع .
والابيات ١٥ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ في مطالع البدور ٦٧/١ وقد لحقها تصحيف وتحريـف .
الابيات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٢٠ ، ٢١ في حياة الحيوان الكبرى للدميري ١٠٤/١
ورواية صدر الاول : محكم الكتاب .
ورواية عجز الثالث : أو هل يباري المدرك المغرر .

[١١]

وانشد ابو للفرج الببغاء لنفسه : [الوافر]

١ـ أكُلُّ وَميضِ بارقةٍ كَذوبُ ؟ أما في الدهر شيءٌ لا يُريبُ ؟
٢ـ تشابهت الطباعُ فـلا دنيءٌ يحنّ الى الثناء ولا حسيـب
٣ـ وشاع البخلُ في الاشياء حتى يكاد يشحّ بالريـح الهبـوب
٤ـ [أبي لي أن أقول الهُجْرَ قَدْرٌ بعيدٌ أن تجاوره العيوب]
٥ـ فكيف أخصّ باسم العيب شيئاً واكثر ما نشاهده معيـبُ ! ؟

التخريج : الابيات ما عدا الرابع في تاريخ بغداد ١١/١١ . والبيتان الاول والرابع في اليتيمة ٢٨٢/١ والاول فقط دون عزو في بهجة المجالس ٤٢٥/١ والاول في نهاية الارب ١٠٦/٣ وفي التمثيل والمحاضرة ١١٧ .

[١٢]

وله في الفَصْد : [الخفيف]

بأبي الغائبُ الذي لم يغبْ عَنّـي فأشكو اليه همَّ المغيـبِ

باشَرَتْهُ كفُّ الطبيب ، فلو نا ... تُ الأماني قَبّلْتُ كفَّ الطبيب
فَعَلَتْ في ذِراعه ظُبَةُ (١) المبـ ... ـضَعِ أفعالَ لحظِه بالقلـوب
فأسالَتْ دمـاً كأنَّ جفوني ... عَصْفَرَتْهُ (٢) بدمعها المسكـوب
طابَ جداً فلِمْ به سَمَحَ الدهـ ... ـر لأمْسى عطري وأصبح طيبي

التخريج : يتيمة الدهر ١/٢٧٦ .

(١) الظبة : حد المبضع .

(٢) عصفرته : صبغته بالعصفر ولونه اصفر .

[١٣]

وله في وصف معصرة : [مجزوء الوافر]

ومعصَرَةٍ أنَخْتُ بهـا ... وقَرْنُ الشمس لـم يغبِ
فخلتُ قزازَها (١) بالـرا ... ح بَعْضَ معادنِ الذهـب
وقد ذَرَفَتْ لفقد الـكرْ ... م فيها أعْيُنُ العِنَـبِ
وجاشَ عُباب واديـها ... بمُنْهَـلٍ ومُنْسَـكب
وياقوتُ العصـير بهـا ... يُلاعـب لؤلؤَ الحَبَـبِ
فيا عَجَبـاً لعاصرهـا ... ومـا يُغني بـه عَجَبي
وكيف يعيشُ وَهْوَ يخـو ... ضُ في بحـرٍ من النهب ؟

التخريج : يتيمة الدهر ١/٢٧٦ – ٢٧٧ .

(١) هكذا وردت في الاصل ، وفي النفس منها شيْ .

[١٤]

وله في الخمر والقَدَح : [المنسرح]

بالقَفْصِ (١) للقَصْفِ منزلٌ كَثُبُ ... ما للتصابي في غيـره أَرَبُ

جادتْ به ديمةُ السرور ، وحـ ... ـلَّ اللهوُ فيه ، وعَرَّس الطرب

دارت نجومُ السرور في فَلَكٍ ... منه لـه من فُتُوَّتي قُطُبُ

من كُلِّ جسم كأنّـه عَرَضٌ ... يكاد لُطْفاً باللحظ يُنْتَهَبُ

نورٌ وإن لم يَغِب ، ووهمٌ وإن ... صحَّ ، وماءٌ لو كان ينسكب

لا عَيْبَ فيه سوى إذاعته الـ ... ـسرَّ الذي في حَشَاه يحتجب

كأنّما صاغَهُ النفاق فمـا ... يَخْلُصُ صدقٌ منه ولا كذب

فَهْوَ الى لـون ما يجـاوره ... على اختلافِ الطباع يَنْتَسِبُ

إذا ادَّعاه اللُّجَيْنُ أكْذَبَـه ... بالراح في صَبْغ جسمـه الذهبُ

جَلَتْ عروسَ المدام حالية ... فيه علينا الأوتارُ والنخُـبُ

فالراح بدرٌ ، والجامُ هالَتُهُ ، ... والافق كفيّ ، والانجمُ الحَبَبُ

حـال به المـاء عن طبيعتـه ... بالمَزْج حتى خِلْناه يَلْتَهِبُ

ونحنُ في مجلس تُدير به الـ ... ـخَمرَ علينا الأقداحُ لا العُلَبُ

يَنْسَى بأوطانه الحنينَ الى الـ ... ـأوطان مَنْ بالسرور يغتـرب

لولا حفاظي المشهورُ ما أمنت ... من بعد بغداد سلوتي حَلَبُ

التخريج : يتيمة الدهر ٢٧٧/١ .

(١) اسم موضع .

[١٥]

وله من اخرى يصف كتيبة : [الطويل]

ومَوْشيّةٍ بالبيض والزَغْفِ(١) والقنا ... مُحَبّرة الأعطاف بالضُمر القُبِ
بعيدة ما بين الجناحين في السُرى ... قريبة ما بين الكَمِيّيْنِ بالضربِ
من السالباتِ الشمسَ ثوبَ ضيائها ... بثوبٍ تولّى نَسجَهُ عِثْيَرُ التربِ
يعاتبُ نَشْوان القنا صادحُ الظُبا ... إذا التقيا فيها على قلة الشربِ
أعادَتْ علينا الليل بالنقع في الضحى ... وردّت الينا الصبح في الليل بالشهبِ
تبلّج عن شمسَيْ نزارٍ ويَعْرُبٍ ... أو تفترُّ عن طَوْدَيْ عُلا تغلبَ الغُلْبِ
مؤقّرةٍ يقتادُ ثنيَ زمامها ... بصيرٌ بأدواء الكريهة والحربِ
أصَحُّ اعتزاماً من خؤون على فلا ... وأنفذ حكماً من غرام على صَبِ

التخريج : يتيمة الدهر ٢٨٤/١ .

(١) الزغف : الدروع الواسعة المحكمة .

[١٦]

وله من رسالة كتبها الى عدة الدولة أبي تغلب بن ناصر الدولة :

[البسيط]

دعـوتُهُ فأجابتني مـكارمُه ... ولو دعوتُ سرى نُعماهُ لم تُجِبِ
وجـدتُه الغيثَ مشغوفاً بعادتِهِ ... والروض يجنى بما في عادة السحب
لو فاتَهُ النسبُ الوَضّاح كان له ... من فضله نَسَبٌ يُغني عن النَسَبِ
إذا دَعَتْهُ ملوكُ الارض سيّدَها ... طُرّاً ، دعته المعالي سيّدَ العَرَبِ

التخريج : يتيمة الدهر ٢٦٦/١ .

[١٧]

وله من قصيدة في سيف الدولة :

[الطويل]

١ــ أفادت بك الأيام فرط تجاربٍ ... كأنّك في فَرْق الزمان مشيبُ
٢ــ وكلّ بعيد قرّب الحينَ نحوه ... سلا هِبتُك الجَرْدُ الجيادُ قريبُ
٣ــ تباشــر أقطار البلاد كأنّها ... رياحٌ لها في الخافقين هبــوب
٤ــ [تماشي بفتيان كأنّ جسومهم ... لخفّتها فوق السروج قلوبُ]
٥ــ وتملأ ما بين الفضائين عِثْيَراً ... مُثاراً بوجه الشمس منــه شحوب
٦ــ وما يدرك العلياء إلاّ مهذّبٌ ... يصاب على مقــداره ويصيــب
٧ــ فلاتصطف الإخوان قبل اختبارهم ... فما كلّ خِلٍّ تصطفيه نجيب

التخريج : القطعة ما عدا البيت الرابع في نشوار المحاضرة ١١٦/١ والابيات ٢ و ٣ و ٤ في يتيمة الدهر ٢٨٥/١ ورواية الثاني في اليتيمة : الجرد الخفاف .

[١٨]

وقال يعزّي سيف الدولة بابنه أبي المكارم من قصيدة اولها :

سرورنا بك فوق الهمّ بالنُوَبِ ... فما يُغالِبُنا حزنٌ على طَرَبِ
إذا تجاوزت الاقدار عنك فهل ... من واجب الشكر أن يُرتاعَ من سببِ
حَتّام تخــدعنا الدنيا بزخرفها ... ولا تحصّلنا منــه على أرب
نسرُّ منها بما تجني عــواقبه ... همّاً ، ونهربُ والآجال في الطلب

التخريج : نشوار المحاضرة ٢٨٠/١ .

[١٩]

ولأبي الفرج الببغاء في وصف كانون نار :

وأحدقنا بأزهـــر خـــا فقات حوله العَـــذَبُ (١)
فما ينفكّ عن سَبَـــجٍ يعودُ كأنّـــه ذَهَـــبُ

التخريج : معاهد التنصيص ١٦٩/١ .

(١) العذب : اغصان الشجرة والاطراف من كل شيْ .

[٢٠]

وقال الببغاء في وصف كانون نار :

والتهبتْ نارُنا فمنظـــرهـــا يغنيكَ عن كلِّ منظر عجب
إذا رَمَتْ بالشرارِ واضطرمتْ على ذراها مطارفُ اللّهَب
رأيتَ يـــاقـــوتةً مشبّكـــةً تطيرُ منها قُراضةُ الـــذهـــب

التخريج : معاهد التنصيص ١٦٩/١ وانوار الربيع ٢٦٤/٥ ورواية الاول فيه : والتهبت نارها .

[٢١]

سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة ورد الخبرُ بغزاة سيف الدولة لنواحي مَلَطْيَة وغنيمته ، فقال الببغاءُ يمدحُه بقصيدة منها :

وَرَدَ الدّمُستق دون منظره خَبَرٌ تضيقُ بشرحـــه الكُتُبُ
ناجَتْهُ عنك البيضُ من بُعُدٍ نُصْحاً ، وأنفذ جيشَه الرُّعُبُ
ولّى ولو أحببتَ حين نجـــا إدراكَهُ لم يُنْجـــه الهرَبُ

يا كالئَ الإسلامِ يحرُسُه ... من أنْ يُخالجَ حقَّهُ الرِّيَبُ
إن كنت ترضى أن يطيعك ما ... سَجَدُوا له سجدتْ لك الصُّلُبُ

التخريج : تكملة تاريخ الطبري لمحمد بن عبدالملك الهمذاني ص ٣٩٧ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم.

[٢٢]

وله من رسالة كتبها لسيف الدولة يلتمس رَسْمه من الكسوة :

فإن رأى – لا رأى سوءاً ولا بَرَحَ الـ ... إقبالُ مشتملا أيام دولتـه –
أن يقتضي ليَ من إنعامه خِلعاً ... تَنُوبُ عن منطقي في شكر نعمته
إذا تأملَها الحساد لائحةً ... تيقنوا أنها عنوان نيّته

التخريج : يتيمة الدهر ١/٢٦٤ .

[٢٣]

ومن شعره في دير الزعفران :

١– صَفَحتُ لهذا الدهرِ عن سيِّئاتِه ... وعَدَّدْتُ يوم الدير من حسناتِه
٢– وصَبَّحْتُ ديرَ الزعفران بصنجةٍ ... أعاشتْ سرورَ القلب بعد وفاته
٣– عَمَرْتُ محلَّ اللهوِ بعد دُثوره ... وألّفْتُ شمل الانس بعد شتاته
٤– وعاشرتُ من رهبانه كلَّ ما جنٍ ... تجاوز لي عن صومه وصلاته
٥– وأهيفَ فاخرتُ الرياضَ بحُسْنه ... فأذعَنَ صُغْراً وصفُها لصفاته
٦– جلا الاقحوانَ الغض نوارُ ثغره ... ومال بغصن البان عن حركاته
٧– وأسكرني بالعذب من خمر ريقه ... وأمتعني بالورد من وجناته

٨ــ ولمّا دجا الليلُ استعاد سنا الضُحى براحٍ نأتْ بالليل عن ظُلُماته
٩ــ نصيبيّة عمريّة كاد كرمُها بجوهرها ينهلّ قبل نباتــــه
١٠ــ ونمّ الينا دَنُّها بضيائها فكان كقلبٍ ضاق عن خطراته
١١ــ فأهدى اليها الورد من صبغ خدّه وأيّدها بالفتك من لَحَظاتــه
١٢ــ وما زال يسقيني ويشرب والمنى تبشرني عنه بصدق عــداتــه
١٣ــ الى أن تهادى بين نحري ونحره صليبٌ يضوع المسك من نفحاته
١٤ــ وخوّفني منه ، فخلتُ صليبَه لشدّة ما يخشاه بعض وُشاتِه

التخريج : مخطوطة الوافي بالوفيات الجزء الخامس عشر الورقة ٢٨٦ « مصورة المكتبة المركزية ببغــداد » .
والابيات ١ ، ٢ ، ٥ ، ٨ ، ١٠ ، ١٤ في مسالك الابصار في ممالك الامصار ٣٠٦/١ .
ورواية الثاني : وصبحت عمر .... بعد بماته .
ورواية الثامن : فلما دجا .
ورواية الرابع عشر : ما نخشاه .

[٢٤]

وقال ابو الفــرج البيغاء في الزُمّج :

١ ــ يا رُبَّ سِرْبٍ آمــنٍ لــم يُزْعَجِ
٢ ــ غادَيْتُــهُ قبــلَ الصبــاح الأبْلَــجِ
٣ ــ بِزُمّجٍ (١) أَوْلقَ (٢) حُوشٍ (٣) أَهْوَجِ
٤ ــ مُضَبَّرٍ (٤) المَنْكِبِ صُلْب المَنْسِجِ (٥)

(١) صنف من العقاب يعد من خفاف الجوارح سريع الحركة شديد الوثبة غدار .
(٢) الاولق : السريع .
(٣) الحوش : القوي .
(٤) التضبير : شدة تلزيز العظام واكتناز اللحم .
(٥) منسج الدابة : ما بين عرفها وموضع اللبد .

٥ – ذي قَصَبٍ عَبْلٍ (٦) أصمَّ مُدْمَجِ
٦ – وجؤْجؤٍ (٧) كالجَوْشَنِ (٨) المُدَرَّجِ
٧ – وعُنُقٍ سامٍ قويمٍ أعوجِ
٨ – ومَنْسِرٍ أقنى فسيحٍ مُسْرَجِ
٩ – مُنْخَرَقِ المَدْخَلِ رَحْبِ المَخْرجِ
١٠– ومُقْلَةٍ تَشِفُّ عن فَيْرُوزَجِ
١١– ناظرةٍ من لَهَبٍ مُؤَجَّجِ
١٢– وهامةٍ كالحجرِ المُدَمْلَجِ (٩)
١٣– ومِخْلَبٍ كالمِعْوَلِ المُعَوَّجِ

التخريج : مخطوطة مباهج الفكر ومناهج العبر المرقمة ٤١١٦ – الفاتح الورقة ٣٠٣ .
وهي في نهاية الارب ١٠/١٨٤ – ١٨٥ ورواية الثالث : بزمج ادلق .

(٦) العبل : الضخم الغليظ .
(٧) الجؤجؤ : الصدر .
(٨) الجوشن : الدرع .
(٩) المدملج : المتقن الصياغة ، كما يصاغ الدملج وهو حلي يلبس في المعصم .

(للبحث صلة)